الفصل السابع

الإنترنت في الوطن العربي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفصل السابع

الإنترنت في الوطن العربي

الوطن العربي كتلة كبيرة من الدول العربية لو انطلقت عليها لسميها الاتحاد العربي لولا التداخلات والظروف الخارجية لهذه الدول ولكن من هذا المنطلق يتقدم العالم العربي في تكنولوجيا المعلومات تقدم ملحوظ بل يكاد أن يكون يتطور الوسائل والأنظمة المختلفة فمن هذا نتحدث عن الإنترنت في الوطن العربي نظرة عامة فعلي الرغم من النحو النسبي السريع مستخدمي الإنترنت في المنطقة العربية حيث يكاد يصل عددهم إلي مليون مستخدم وكذلك وصول تلك الخدمة لجميع بلدان المنطقة إلا أن العديد من مستخدمي الإنترنت بالعالم العربي قد بدء توجيه بعض الأسئلة الهامة من نوع خاص :

هل تتمتع مراسلاتهم أو مشاركتهم علي الإنترنت بالحرية التي كانوا ينشدونها فعلا؟

بشكل واضح في حياتهم، إزاء غياب الحريات الأساسية ضمن أغلب ربوع المنطقة . أي قانون سيطبق عليهم حال تجاوزهم الخطوط الحمراء التي تحدد أساسا ضمن قواعد واعتبارات متغيرة باستمرار، وغير واضحة ؟

يرى العديد من المتخصصين بحرية الرأي والتعبير أن الإنترنت قد أتاح فرصا واسعة أمام كم هائل من المواطنين في مختلف بلدان العالم ومن ضمنها البلاد العربية في التعبير عن آرائهم من أنفسهم ولا سيما قد تكون سياسية جماعات المعارضة السياسية يسارية وإسلامية أو جماعات حقوق الإنسان أو أسباب دينية مثل الشيعة أو المسيحيين " أو أسبابا ثقافية ودينية مجتمعة الممثلين جنسيًا " .

وقد بدأ واضحا أن تلك المجموعات قد استفادت فعليا من الإمكانيات التي تتيحها شبكة الإنترنت لمستخدميها، لاسيما المنتمين الرؤية الإسلامية، سواء كانوا منظمين ضمن مجموعات أم لا .

إلا أن تلك المجموعات وعلي اختلاف مرجعياتها قد أدركت سريعا، أن الحكومات قد دخلت بدورها حلبة الصراع وبدأت تبذل الجهد لتحكم حصارها علي هذه الوسيلة الجديد التي قد تسبب لهم بعض المشاكل نتيجة لتلك المساحة من الحرية البعيدة عن سيطرتها، فلجأت إلي الأساليب العادية التي تسم اغلب الحكومات العربية عند تعاملها مع مسالة حرية الرأي والتعبير وهو المصادرة والرقابة، فضلا عن استخدامها للوسائل لجديدة والمتعلقة بهذا الوافد الجديد مثل تحكمها في المنبع من خلال برامج الفترة الإلكترونية، كما تلجا بعض الدول إلي احتكار تقديم الخدمة مثل السعودية وتونس حتى شهور قريبة

فضلا عن استخدام الشائع والتقليدي، وهو تلفيق القضايا والزج بمن يتجاوز الخطوط الحمراء الغير معروفة أصلا ـ داخل السجون بدعاوى واهية مثل "الإساءة لسمعة الدول، السب والقذف أو لحماية الآداب والقيم العامة. . . الخ" .

بل إن بعض الحكومات العربية قد اختصرت تماما بحرمان شعوبها أصلا من الاتصال بالإنترنت مثل حكومة الرئيس العراقي السابق صدام حسين، الذي برر منعه لاستعمال شبكة الإنترنت وحتى عام 2000 بزعمه أن شبكة الإنترنت "وسيلة دعاية أمريكية" يأتي هذا رغم حداثة الاتصال بالإنترنت في المنطقة العربية كلها حيث لا يزيد عمر أول دولة عربية اتصلت بالإنترنت عن ثلاثة عشر عاما، حيث كانت تونس أو ل دولة تتصل بالإنترنت في عام 1991 ، وان كانت قد أتيحت فعليا للمواطنين بداء النصف الأخير من التسعينات في تونس وباقي البلدان العربية باستثناء السعودية التي أتاحت تلك الخدمة عام 1999 والعراق 2000 .

ويبدو أن العديد من الحكومات العربية قد فاتها في بداية استخدام الإنترنت انه يمنح مساحة واسعة لكل مستخدميه، سواء كانوا مؤيدين لها أم لا فراحت تطلق التصريحات الرنانة وتشجع الجهات الحكومية استخدامه فضلا عن بعض الإعفاءات الجمركية علي مستلزمات الكمبيوتر تشجيعا لمواطنيها علي اقتنائه واستخدامه .

إلا أن تلك السياسات التشجيعية سرعان ما بدأت تتراجع نظرا لان شبكة

الإنترنت تمنح كل إمكانياتها لكل مستخدميها، دون أن تفرق بين حكومي ومعارض، ضابط أو ناشط حقوقي ديني أو لا ديني، أسود أو ابيض رجل أو امرأة. . . الخ .

لتبدأ مرحلة أخرى أن نطلق عليها "لعبة والفار" بين أغلب الحكومات العربية ومستخدمي الإنترنت، ممن يسعون لكسر المنظومة القيمية السائدة دينينا أو سياسيا أو ثقافيا، أو بمعني أخر من يسير دون في عكس تلك الحكومات .

الإنترنت، مرتديا عباءة دينية:

حتى سنوات قليلة مضت، كان المتصفح لمواقع باللغة العربية، يلحظ بسهولة أن نسبة مرتفعة من المواقع العربية علي الإنترنت هي مواقع إما تتحدث عن الإسلام من وجهة نظر مسئوليها، أن تدعو الآخرين للإسلام عبر نشر خطب ومقاولات وفتاوى عن شيوخ ونشطائه المعيشي المرتفع لمواطني هذا الجزء من العالم العربي، الذي أتاح لهم فرصة التقدم التقني وبسهولة التعامل مع تلك الثورة الرقمية .

إلا أن تلك المواقع التي تتبنى الإسلام وتدعو له، كانت بدورها شبة قاصرة علي رؤية واحد فصيل يعينه وهو التيار السني المتشدد، الذي انتشر في منطقة الخليج العربي وامتد ليطيل العديد من البلدان العربية الأخرى، بل وبعض البلدان الإسلامية غير العربية مثل أفغانستان وباكستان والكثير من الجاليات العربية بأوربا وأمريكا الشمالية ولذلك لم يكن الكثير ممن يطلع علي إحصائيات حول المحتوى العربي علي الإنترنت .

ليقف كثرا حول نسبة لها إلي 65% من المواقع العربية (1) . ورغم عدم علمية تلك التقديرات من وجهة نظرنا والمبالغ فيها بدرجة ولكنها علي كل حال تعتبر مؤشر علي الوجود النسبي الهائل لتلك المواقع، بالنسبة للمواقع العربية عمومًا .

ويلاحظ أن الكثير من هذه المواقع قد نجت من الحجب والفلترة التي تلجا لها العديد من الدولة العربية، رغم ما تحمله الكثير من تلك المواقع من دعاوى الكراهية ليس فقط لكل أن هو أو ما هو غير إسلامي، بل لفرق وجماعات إسلامية أخرى وهو

أمر يعبر عن رضا تلك الدولة عن مضمون تلك المواقع، أكثر منه إيمانا من تلك الدول بحرية الرأي والتعبير وتداول المعلومات. وعلي الرغم من تراجع تلك الظاهرة بعض الشيء نظرا للتوسع الذي شاب كلا من عدد مستخدمي الإنترنت وكذلك عدد المواقع العربية علي الشبكة، إلا أنها لم تختفي تماما وان تحول البعض منها لاستخدام لغة اقل حدة في مواجهة الآخر، وتحول البعض الآخر. والأكثر تشددا إلي الحرص واستخدام أكثر من اسم ومستضيف لاسيما بعد حادثة الحادي عشر من سبتمبر.

وبدء ملاحقة الكثير من تلك المواقع المتشددة سواء من الولايات المتحدة أو الحكومات العربية.

ويمكنا أن نلحظ تخفيف حدة التشدد تلك، في مواقع عرفت بغلوها وتعصبها مثل موقع الساحة العربية، سوالف بوابة الإسلام، اسلاموى إسلامنا شبكة سحاب، أنا مسلم أنصار الإسلام. .وغيرها [1].

سلام جيد بيد المعارضة العربية:

مثل الإنترنت فرصة جيدة أمام أحزاب وجماعات المعارضة العربية، حيث سمح للعديد منها بزيادة التواصل مع مؤيديها، فضلا عن كسب تعاطف وتأييد المزيد من المواطنين نظرا لسيطرة الحكومات العربية علي وسائل الإعلام التقليدية بشكل محكم، كان يسبب معه أن تخرج مقالة أو خبر أو تعليق يتضمن نقدا لسياسات تلك الحكومات، حتى وأن تم ذلك ففي السجون العربية متسعا للمزيد من الصحفيين وأصحاب الرأي.

وكان من الملاحظ انهم مع زيادة القمع الذي تمارسه دولة ما ضد معارضيها، كانت إعداد المواقع المعارضة لها تزيد بذورها، خاصة وأن العديد من تلك المجموعات المعارضة وقد ضاقت بها أوطانها للقمع الشديد الذي تواجه به قد لجأت للمنفي وراحت توظف كل الإمكانيات المتاحة لها بالبلدان التي لجأت إليها في محاولة حشد مؤيديها وفضح ممارسات تلك الحكومات وكان الإنترنت وسيلة هامة ضمن

(١) موقع جريدة الرياض مقال الإنترنت في الوطن العربي يرتدي عباءة دينية.

وسائلها.

وقد رصدت الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان العشرات مع المواقع التي تنطق بلسان تلك المجموعات المعارضة، كانت علي رأسها المجموعات اليسارية والإسلامية المعارضة للحكومة العراقية الاحتلال الأمريكي التي كانت تبث مواقعها من دول عديد مثل السويد وإنجلترا أو ألمانيا والدانمارك، كذلك المواقع العديدة التابعة لجماعات وقوى المعارضة الليبية والسعودية . وتلك الدول الثلاثة تحديدا وبسبب تأخرها في إدخال خدمة الإنترنت، كان لجماعات المعارضة السبق في استخدام إمكانيات الإنترنت وإنشاء مواقع لها تنطق لسلانها وتفضح ما تراه من ممارسات تلك الحكومات وتكسب من خلال قدراتها علي تجاوز المواقع الحكومية زوار أو أنصار جدد وتكرر هذا الأمر مع اختلافات نسبية بالعديد من الحكومات العربية مثل تونس وسوريا والسودان والبحرين، بل أن دولا تعرف بانفتاحها النسبي مثل مصر، لم تسلم من مجموعات قامت من الخارج بإنشاء مواقع لها لتندد بما تزعمه من اضطهاد وتميز مثل مواقع أقباط المهجر أو المواقع التي نشأت حديثا وبدأت تعمل لمحاولة خلق رأى اعم ضد قضية توريث الحكم في مصر ورغم أن تلك المواقع وكما ذكرنا، لا يزيد ما توصلت إليه الشبكة عن بضع عشرات، إلا أنها ذات ترتيب متقدم بالنسبة للمواقع العالمية، نظر للكم الكبير من الزوار الذي يقبلون عليها بدرجة كبيرة فضلا عن استخدام تلك المواقع المعارضة للقوائم البريدية التي تحمل للمشاركة بها جديد تلك المواقع، أو طرق تجاوز المنع والحجب بالدولة المحددة.

مما يجعل هذه المواقع، الهدف الأول للحجب بالدول العربية فاضحة لأكذوبة قيام تلك الدول بحجب المواقع المنافية للآداب العامة والقيم الدينية.

المثليون العرب، إعلان عن الوجود:

لعل الفئات الاجتماعية الوحيدة التي لم تكن ـ وحتى ظهور الإنترنت ـ تستطيع الإعلان عن هويتها بالعالم، هم المثليين جنسيا.

فقد تواجهك بعض المشكلات الأمنية أو الثقافية أو الدينية حينما تعلن انك

يساري أو إسلامي أو شيعي أو ناصري وذلك حسب الدولة التي تعلن ذلك بها وحسب الوسط الاجتماعي الذي تنتمي له . إما أن تعلن انك مثلي الجنس ، فهذا الإعلان قد يضعك أمام تلك المشاكل مجتمعة ، وفي الغالب سوف تكون له نتائج سيئة عليك .

ولكنهم موجودون ، وقد أتاح لهم الإنترنت فرصة الإعلان عن هذا الوجود ، من خلال العديد من المواقع التي تعلن عنهم وعن أفكارهم وهمومهم ، بل وزيادة التعارف بينهم ولعل موقع جمعية المثليين والمثليات العرب ـ هو الموقع الأقدم الأشهر الوقت قريب ، ثم تلاوة العديد من المواقع الناطقة باسم مثلي الميول الجنسية العرب وكذلك المواقع الأجنبية التي تغرد للمثلين العرب أقساما بها .

وقد بدأت تلك المواقع المعبرة عن المثليين تزاد لاسيما بعد الحملات الأمنية ضدهم وازدياد إعداد مستخدمي الإنترنت في المنطقة ، بدأت تظهر مواقع تعبر عن مجموعات أكثر تحديدا ، مثل موقع مثلي مصر .

والمثليين العرب ومثلي لبنان والفاتحة ، حتى المملكة السعودية بتحفظها الشديد ، قام مسلييها بإنشاء موقع لهم تحت اسم "المثلي السعودي" الذي قام المسئولين عليه بعد التعريف بأنفسهم ، بتقديم بعض النصائح لزواره لحمايتهم من الملاحقة وقد جاء ضمنها :

لا تستعمل اسمك الحقيقي .

استعمل برد إلكتروني خاصا وسريا .

إذا أراد شخص أن يقابلك فهذا ليس رائعا كما قد تظن .

لا تعط عنوانك لأي شخص .

لا تعط رقم الهاتف شخصي .

وعلي الرغم من حجب العديد من تلك المواقع ومنعها بأغلب البلدان العربية ، فمازالت تلاقي روجا هي الآخر ، حيث أصبحت أخبار القمع الذي تواجه به مجموعة ما مثل الحملة الأمنية الموجهة ضد المثليين المصريين ، عاملا جاذبا لمزيد من الزوار

التعرف علي آخر تلك الحملة[1] .

(١) الباحث القانوني " جمال عيد " المدير التنفيذي للشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان من موضوع الإنترنت في الوطن العربي من موقع الشبكة العربية لحقوق الإنسان**www.harinfo.net** .